تاديوش لوفيتسكي، "دولة تاهرت بشمال إفريقيا وعلاقاتها مع السودان الغربي في نهاية القرن الثامن والتاسع الميلادي"
كراس الدراسات الإفريقية، مج2، الكراس8، 1962، ص513-535.

أ. عبدالقادر مباركية (ترجمة)*

في محاضرة ألقيتها في المؤتمر الخامس والعشرين للمستشرقين بموسكو، أشرت إلى الأهمية التي قدّمتها الكتب القديمة لمذهب الإباضية الإسلامي[1] لتاريخ علاقات شمال إفريقيا مع السودان الغربي والأوسط وكذلك لماضي هذه البلدان الأخيرة. هذه المصادر التي نشر جزء منها فقط، في الواقع غير معروفة لدى العلماء المهتمين بالسودان وعلاقاتها مع إفريقيا الشمالية عبر الصحراء. لا أعرف إلا دراسة واحدة عالجت هذا المشكل فيها استعمل المؤلف معطيات المصادر الإباضية، أتحدث هنا عن المقال المهم للبروفيسور جوزيف شاخت المعنون بـــ"حول انتشار الأنماط المعمارية الدينية الإسلامية عبر الصحراء"، والذي فيه أخذ هذا العالم باستغلال المعطيات الموجودة في كتاب السيّر للشماخي-كاتب إباضي من شمال إفريقيا كتب نحو بداية ق16م- حول الانتشار الإباضي في السودان الغربي[2]. من خلال مقال شاخت وكذلك محاضرتي في موسكو لم نعالج سوى جزء من الشواهد المتعلقة بالسودان وعلاقات هذا البلد مع إفريقيا الشمالية، والذي هو موجود في الكتب الإخبارية والتراجمية للمذهب الإباضي. في المقابل جزء آخر من هذه المعلومات ليست كثيرة ما زالت تنتظر الدراسة. من بين هذه المعلومات الأكثر حضورا نجد خاصّة الشواهد المعبّرة عن العلاقات بين دولة تاهرت البربرية الإباضية مع ممالك السودان الغربي في نهاية القرن 8م وإلى القرن 9م. إن هذه الشواهد تبقى في رأيي هامة وهذا ما سأتناوله في هذه الدراسة.

عندما وضع الجيش العباسي النهاية للسيطرة الإباضية على القيروان سنة 762/761م وضغط على أتباعهم البربر لمغادرة شمال ووسط تونس الحالية والانسحاب لفترة من جنوب هذا البلد، كذلك في طرابلس ذهب عبد الرحمان بن رستم- حاكم القيروان للإمام الإباضي أبو الخطاب المعافري الفار من الجنود العباسيين- ليبحث عن ملجأ في غرب الجزائر الحالية. في هذا البلد، وفي مركز المغرب نفسه أسّس ليس بعيد عن المكان القديم المحصن لتاهرت أو تيهرت (اليوم تيارت)- مدينة حافظت على الاسم نفسه- لكن المؤرخين القدامى والجغرافيين العرب غالبا ما سمّوها تاهرت

*أستاذ مساعد في تاريخ المغرب الإسلامي، شعبة التاريخ- قسم العلوم الإنسانية- جامعة الأمير عبد القادر- قسنطينة.

الجديدة، لتمييزها عن المدينة القديمة. بسرعة أصبحت المدينة الجديدة المركز السياسي والديني لكل إباضية المغرب الأوسط وعُرف عبد الرحمان كشيخ للقبائل البربرية الإباضية لهذا البلد. بعد وفاة إمام طرابلس الإباضي أبي حاتم الملزوزي خليفة أبي الخطاب في سنة 772م انهارت الدولة البربرية الإباضية الشرقية نهائيا وبقيت القبائل البربرية الإباضية لهذه الناحية مستقلة أو شبه مستقلة عن الولاة العباسيين بالقيروان، على سبيل المثال نفوسة، هوارة، زواغة وقبائل أخرى خضعت لسلطة عبد الرحمان بن رستم. هذا الأخير انتُخب في 777/776م إمامًا لكل المجموعات الإباضية بإفريقيا الشمالية، والتي كانت أصولا لدولة إباضية شمال إفريقيّة كبيرة استمرت تحت حكم خلفاء عبد الرحمان بن رستم إلى غاية 909م. هذه المملكة الجديدة التي شملت- في فترة إزدهارها الكبير يعني نحو بداية ق 9م- القسم الغربي والجنوبي للجزائر، جنوب تونس وشمال بلاد طرابلس وأصبحت عاصمتها مدينة تاهرت[3].

بداية من حكم الإمام الأول بين 777/776م و785/784م أصبحت تاهرت مركز سياسي واقتصادي هام وسوق ضخم، الذي يجذب ليس فقط الكثير من البربر الإباضيين من شمال إفريقيا كلها أو بقايا السكان القدامى الرومان والمسيحيين- العجم في المصادر العربية-، والذي غالبا ما يذكر في سجلات تاهرت -لكن كذلك التجار المسلمين من القيروان، البصرة والكوفة. أخذنا هذه المعلومة من ابن الصغير -مسلم لا ينتحل المذهب الإباضي-سكن تاهرت خلال حكم آخر أئمة العائلة الرستمية والذي ألّف نحو سنة 903/902م تاريخا للمدينة[4]. من خلال هذا المؤلف الذي اعتمد كثيرا على الروايات المحليّة، والتي من بينها روايات الأمراء من الدم الرستمي، فقد تطوّرت تاهرت سريعا خلال السنوات الأولى من حكم عبد الرحمان بن رستم، هذا يعني نحو 780-777/776م.

لاحظ ما قاله ابن الصغير[5]: "واتسعوا في البلد وتفسحوا فيها وأتتهم الوفود والرفاق من كل الأمصار وأقاصي الأقطار، ليس أحد يترل بهم من الغرباء إلا استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة إمامه وعدله في رعيته وأمانه على نفسه وماله، حتى لا ترى دارا إلا قيل هذه لفلان الكوفي، وهذه لفلان البصري وهذه لفلان القروي، وهذا مسجد القرويين ورحبتهم[6] وهذا مسجد البصريين وهذا مسجد الكوفيين واستعملت السبل إلى بلاد السودان وإلى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعة فأقاموا على ذلك سنتين أو أقل من ذلك أو أكثر، والعمارة زائدة والناس والتجار من الأقطار تاجرون" [النص مأخوذ من: ابن

الصّغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، الجزائر، المطبوعات الجميلة، 1986، ص:31-32].

هذه الشهادة المنقولة من طرف ابن الصّغير- إخباري بعيد عن المذهب الإباضي، فموقفه من الأئمة الرستميين، والروايات المقتبسة من الأوساط الإباضية كانت دون شك خاضعة لنقده الصارم- مثّلت أول وثيقة ليس فقط لمدينة تاهرت التي أصبحت حسب ابن الصغير واحدة من الأسواق المهمة بشمال إفريقيا، لكن كذلك لتاريخ تجارة هذه المدينة مع السودان الغربي عبر الصحراء. في الواقع التاريخ المشار إليه من طرف ابن الصغير بصفة تقريبية فقط مثّل بداية العلاقات بين تاهرت وبلاد السودان، وكذلك أقدم تاريخ كرنولوجي مؤكّد والذي عولج في العلاقات التجارية للمغرب مع السودان الغربي في الفترة العربية.

إنها سابقة لأكثر من مئة سنة عن الفترة التي كتب فيها الجغرافي والمؤرخ العربي اليعقوبي فشهادته موجودة في كتابه البلدان، كتب نحو سنة 892/891م، وعالج فيه العلاقات التجارية بين مدينة سجلماسة (في تافلالت على الضّفة اليساريّة لوادي زيز في الجنوب الشرقي للمغرب الأقصى- اليوم آثار-والسودان الغربي، وتعتبر إلى هنا كأقدم معلومة معروفة عن التجارة الصحراوية في الفترة الإسلامية[7]. ينتج كذلك من رواية ابن الصغير أن مدينة تاهرت كانت تلعب دورا جدّ مهم في هذه التجارة نحو 776/777-780م.

لم يخبرنا ابن الصغير عن أسماء البلدان السودانية التي يتجه نحوها تجار تاهرت، لكن دون شك الأمر يتعلق قبل كل شيء بالسودان الغربي ومن الممكن السودان الأوسط. في الفترة التي تكلم فيها لم يوجد في هذا القسم من السودان سوى دولتين أو ثلاث وهي كلاً من غانة ووارام ومن الممكن الدولة المسمّاة نخلة. وجدنا هذه المعلومة عند الفلكي والجغرافي العربي الفزاري الذي وضع في فترة حكم إدريس الأول مؤسس العائلة الإدريسية الحاكمة بالمغرب الأقصى (788-793م)، "لمحة عن المساحة والأبعاد المتعلقة بالبلدان (يدخل على الأرجح في مؤلف واسع جدّا اليوم مفقود) والتي فيها تحدث عن الظروف السياسة في السودان، مشيرا إلى أسماء كل الممالك الموجودة ومقدّما أبعادها. عرفنا هذه الوثيقة المهمة بفضل المؤرخ العربي المسعودي والذي أوردها في كتابه المعنون بـــ مروج الذّهب كتبه نحو 956م[8].

حسب الفزاري مساحة وارام وهي مملكة حسب ج.ماركار تشغل المجالات الواقعة بنواحي مصب السنغال[9] تتكون من مئتي فرسخ (بالعربية الفرسخ) على ثمانين فرسخ ومثلها لنخلة بالنسبة

لـــ: نجلة أو نجالة تقرأ نقلة أو نقالة؟)[10] والتي حسب رأيي تشغل ناحية مدينة نجالة القديمة في شمال بورنو[11] مساحتها 120 فرسخ على 60 فرسخ. بالنسبة لدولة غانا (بلد الذهب) مثلما يسميها الفزاري، أبعاد هذه المملكة هي ألف فرسخ على ثمانين[12]. دون شك فالأرقام التي قدّمها الفزاري مبالغ فيها وناتجة على الأرجح عن سوء فهم. في الواقع نعتقد أن هذا المؤلف الذي أوصلنا إلى أبعاد كل البلدان المعروفة من طرف العرب جزء منها بالفرسخ (1فرسخ=حوالي 6كم) وجزء منها بالميل العربي (ميل=حوالي 2كم)، وهو قياس الطول الأكثر استعمالا في إفريقيا الشمالية من الفراسخ. لقد عالج هذين القياسين كالمتساويين وما قدمه بالنسبة للمغرب والسودان من أرقام كلها خيالية. إذا قبلنا مثل هذا الخطأ في حسابات الفزاري سنجد مساحة 400كم على 160كم بالنسبة لمملكة وارام ما يوافق جيدا أبعاد المجالات الواقعة في جنوب السنغال الأدنى، ومساحة 240كم على 160 كم لبلد نخلة (نجلة، نجالة، نقالة) وأبعاد 2000كم على 160 كم لدولة غانا.من خلال هذه المعطيات ستشغل دولة غانا في نهاية القرن 8م كل البلد الواقع على حافة الصحراء والسودان الغربي في شرق السنغال الحالي، وفي غرب حوض بحيرة التشاد. وكذلك حسب الفزاري فإن سلطة ملوك غانا تنبسط خارج مجالات غانا، بكل وضوح قال (مجال قبيلة السونينكي مع عاصمة غانا، اليوم آثار كومبي صالح الواقعة على الحدود الجنوبية لموريتانيا الحالية في جنوب شرق تيشيت)[13]، على بلد السونغاي بالنيجر الأوسط وكذلك على البلد الصحراوي وشبه الصحراوي الواقع شمال شرق وشرق منعطف النيجر نحو أدرار إيفوراس ونحو إير. في كل السودان الغربي والأوسط لا يوجد إلا دولتين صغيرتين انفلتتا في نهاية ق 8م من سيطرة غانا، وهما مملكة وارام في الغرب وبلد نخلة (نجالة، نقلة) في الشرق. يظهر قبل كل شيء أنه تتجه نحو إمبراطورية غانا التي كانت في نواحي سنة 780م "الطرق المؤدية إلى السودان" التي تحدّث عنها ابن الصغير والتي كانت نقطة انطلاقها مدينة تاهرت.

لم تعد الوحدة السياسية للسودان الغربي تحت سيادة ملوك غانا والتي تحدّث عنها الفزاري نحو 788-793م، موجودة مئة سنة بعد ذلك في الفترة التي كتب فيها اليعقوبي. المعلومات حول السودان التي قدمها هذا المؤلف في كتابه كتاب البلدان، كتبه نحو 892/891م وخاصة في مؤلفه التاريخي المعنون بـــ "التّاريخ" أنهاه على الأرجح نحو 904-905م، جمعه حسب كل الإحتمالات خلال جولته بالمغرب التي بقي فيها بعض الزمن بعد 873-874م[14]، إذن تقريبا مئة سنة بعد الفزاري. صورة السودان الغربي التي أوردها اليعقوبي في كتابه التاريخ تختلف عن تلك التي أوردها

الفزاري. من خلال اليعقوبي هذه الناحية مقسمة بين العديد من الممالك سواء كانت كبيرة أو صغيرة بجانب دولة غانا، اعتبرها هذا المؤلف وكأنها دائما قوية، وقد ظهرت إمبراطورية أخرى كبيرة زنجية وهي دولة الكوكو (الكَوْكَوْ) والتي كانت في هذه الفترة استشهد بكلام اليعقوبي "الأقوى من بين كلّ ممالك السودان"[15]. جاء اسم هذه الدولة من اسم مدينة كوكو (تقرأ كَوْكَوkawkaw) التي كانت عاصمتها حسب هذا الكاتب[16]. إنها مذكورة سابقا في النصف الأول من القرن التاسع الميلادي من طرف الفلكي والجغرافي العربي محمد بن موسى الخوارزمي (ت نحو 846-847م)[17]. عادة ما نقارب مدينة كوكو أو كَوْكَو مع مدينة قاو على النيجر وهي المركز السياسي القديم لقبيلة السونغاي[18].في نهاية القرن التاسع الميلادي كان ملك قاو حسب اليعقوبي سيد لكل البلدان الواقعة حول هذه المدينة، إذن القسم الشرقي للمجال الخاضع مئة سنة قبل ذلك لملك غانا. استشهد مؤلف التاريخ بأسماء ثمان ممالك استقلت عن ملك قاو[19] من الصعب تحديدها فحسب كل الإحتمالات يجب وضعها في الشمال الغربي، في الشمال، وفي الشمال الشرقي لقاو[20].

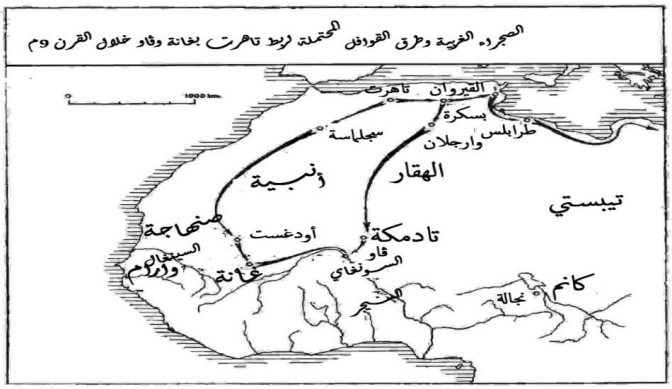

نجد كذلك اسم قاو عند مؤلفين قروسطيين عرب مثل البكري (نحو 1068م)[21]، الإدريسي (1154م)[22]وابن بطوطة (ق 14م)[23] فقد قدموا لنا تفاصيل مهمة حول هذه المدينة وسكانها، وكذلك حول مملكة قاو. ابن بطوطة الذي زار هذه المدينة في سنة 1353م كتب اسمها كَوْكَو[24] أو جوجو (جَوْجَوْ)[25].النطق الناتج من طرف ابن بطوطة لهذا الاسم بـــ: (ك) أو (ج) لا نستطيع أن نعرفه فهو مثل (ڤ) الأصلي (يجب دائما أن نأخذ بالحسبان أن النطق (ك=ج) وفي بعض الحالات (ج=ڤ) عند المؤلفين العرب ذوي أصول شمال إفريقية وكذلك من إسبانيا الإسلامية)[26]. يمكننا أن نقول أن النطق الصحيح للاسم المكتوب كَوْكَوْ أو جَوْجَوْ هو ڤَوْڤَوْ أو

قَاوْقَاوْ. هذه الصورة اللفظية الأخيرة المفترضة مبررة كون أن الواو العربي يعود غالبا على الحرف "و"، أو "أُو" خاصة في الكلمات ذات الأصل الأجنبي[27]. الصورة اللفظية المفترضة قَاوْقَاوْ هي القريبة من اسم المدينة قاو المستعمل من طرف ليون الإفريقي (كتب نحو 1526م)[28]وهي قاوقا أو قاقو[29]. يعتقد ج.ماركار ومن دون شك تبعا لرأي ه. بارث أن كَوْكَوْ(الكَوْكَوْ) عند الجغرافيين العرب القدامى يجب قراءتها قوقو (القوقو)[30]، ورغم ذلك هذه الكتابة لا تظهر لي مؤسَّسَة.

لانعلم إذا كانت مدينة قاو، في النصف الأول من القرن التاسع الميلادي في الفترة التي ظهرت فيها لأول مرة في مؤلف محمد بن موسى الخوارزمي، عاصمة لدولة مستقلة عن دولة غانا، كما هو الحال خلال نصف قرن بعد ذلك في فترة اليعقوبي. دون شك كانت قاو في بدايات القرن التاسع الميلادي مركز كبير للتجارة الصحراوية الذي لفت انتباه واهتمام رستميّي تاهرت. نعلم هذا بفضل رواية متعلقة بالإمام الرستمي أفلح بن عبد الوهاب موجودة في مجموعين إباضيين للسيرة من شمال إفريقيا: مجموع الوسياني ومجموع الدرجيني. لا يمكن هنا إطلاقا الاستدلال دون استعمال مقاطع من هذين المؤلفين الذين قدّما هذه الرواية. لقد تضمنا معلومات مهمة حول علاقات مدينة تاهرت مع قاو في السنوات الأولى من القرن التاسع الميلادي، على الأرجح 20 أو 30 سنة قبل الإشارة إلى قاو في كتاب محمد بن موسى الخوارزمي (توفي نحو 846-847م)، وتعتبر إلى هنا كأقدم كرونولوجيا في تاريخ عاصمة السونغاي. سنختبر هذه الرواية التي بقيت إلى اليوم مجهولة، نبدأ بالمؤلفين الذين أوردوها.

أبو الربيع سليمان بن عبد السلام الوسياني عاش في القرن 12م، من أصول بربرية كما ينتج من نسبته، ينحدر من فرع قبيلة زناتة وَسْيَان (كذلك: واسين) الذي استوطن حسب ابن خلدون (ق 14م) الجنوب التونسي في ضواحي مدينة توزور[31]. إنه مؤلف كتاب السيّر، مجموع سير شخصيات إباضية مشهورة من أصول شمال إفريقية. نُسخ هذا الكتاب في الحقيقة نادرة. وجد الفقيد المستعرب البولوني ز.سمقورزوفتسكي واحدة في ميزاب سنة 1912 في مخطوط احتوى فضلا عن مؤلف الوسياني مؤلفين آخرين في السيرة. لقد نسخ سموقورزوفتسكي كل هذا المخطوط ونقل هذه النسخة إلى بولونيا، وإلى غاية حرب 1939-1945 وضعت في مجموعة المخطوطات الإباضية في لفوف (رقم 277 ضمن المجموعة)، حاليا موجودة في كراكوفي. تضم 208 ورقة (316صفحة) غير مثبتة مقاييسها 27×21سم و25×18سم بخط مغربي حديث. تعتبر عمل للعديد من النساخ الإباضيين وقد عرفت كذلك يد سموقورسوفتسكي. لقد شغل كتاب السير للوسياني القسم الأول

من هذه النسخة المخطوطة أي الصفحات من 1 إلى 189. من خلال ما قيل في موضع من كتاب السير فقد نقل الوسياني في هذا المؤلف خاصة الروايات التي جمعها أستاذه أبو محمد عبد الله بن محمد اللواتي والذي نقلها من طرف عالم إباضي آخر مولود في جنوب تونس وهو أبو محمد ماكسن بن الخير الجرامي الوسياني (النصف الثاني من القرن 11م)، ومن دون أدنى شك استخدم الوسياني كذلك بعض المصادر المكتوبة، اليوم مفقودة[32].

أصبح كتاب السيّر للوسياني واحدا من المصادر الأساسية لكتاب آخر مخصّص للشخصيات الإباضية المشهورة وهو كتاب طبقات المشائخ لأبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، هذا الأخير استشهد بكتاب السير في ثلاثين موضعا من كتابه. عاش الدرجييني في ق 13م، انحدر من عائلة إباضية عالمة ومتدينة أصلها من جبل نفوسة في طرابلس والتي استقرت في تاريخ غير محدد بجنوب تونس في مدينة صغيرة من هذا البلد تعرف بدَرْجين السفلى الجديدة تقع غير بعيدة عن نفطة، وهي التي ولد فيها مؤلف كتاب طبقات المشائخ، درس في توزر وسكن بعض الوقت جزيرة جربة وواحة ورقلة، كتابه التراجمي الذي شغل مكانة مشرّفة في الأدب الإباضي بشمال إفريقيا، كتبه على الأرجح نحو منتصف القرن 13م. يتكون من قسمين الأول ليس إلا إعادة كتابة لكتاب السيرة لأبي زكرياء يحي بن أبي بكر الوارجلاني مؤرّخ من شمال إفريقيا (ق 11-12م) أصله من ورقلة، في حين أن القسم الثاني وهو العمل الأصلي للدّرجيني يضم مجموع تراجمي لحوالي 130 شخصية إباضية بارزة مقسم إلى 12 قسم (بالعربية طبقة) تشغل كل واحدة فترة 50 سنة. عدد المصادر المستعملة من طرف الدرجيني معتبر جدا، علاوة على كتاب السير للوسياني، فقد استخدم مؤلّفات تاريخية وتراجمية لأبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي (توفي في 1079/1078م) وأبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي وأبو نوح (ق12م). لقد استخدم كذلك روايات ميمون بن حمودي (الذي عاش في النصف الأول من ق11م) وأبو محمد ماكسن بن الخير الجرامي الوسياني وكذلك رواة آخرين[33].

لم نعرف كتاب طبقات المشائخ إلا من خلال نسخ مخطوطة جد نادرة، لا يوجد أي نشر موجود الآن من هذا المؤلف الضخم. من هذه المخطوطات وضعت تحت تصرفي نسخة تمثل جزء من مجموع ز. سموڤورزفتسكي (رقم 275 من هذه المجموعة) والتي قدمت لها وصفا في إحدى دراساتي السابقة[34]. يتعلق الأمر بنسخة حديثة، نوعا ما جيدة، عثر عليها في مزاب نحو

1926/1925م، من خلال مخطوط كتب في 1241هـ (1825-1826م)، نقلهاسموفورفتسكي من مزاب في سنة 1926م.

توجد الإشارات لمدينة (أو دولة) ڤاو مثلما قلت سابقا في النشرات التراجمية القصيرة التي أوردها الوسياني والدرجيني في مؤلفيهما عن أفلح بن عبد الوهاب ثالث إمام رستمي لتاهرت. استعمل الدرجيني والوسياني في نصوصهم التراجمية الكثير من المصادر المكتوبة وكذلك تقارير الكثير من الرواة المنتمين لفترة غالبا ما تكون قديمة جدا ومنقولة من طرف أجيال من رواة الفترة الرستمية. لاحظ أولا النص العربي للرواية التي تهمنا من خلال الصيغة التي قدمها الوسياني[35]: وذكر... أنه لما أراد السفر إلى جوجو فلما برز رحله خرج إليه الإمام عبد الوهاب والده... قال له: ارجع فرجع.

الرواية نفسها أوردها الدرجيني بصيغة مختلفة قليلا[36]: ذكر... أنه قد كان أراد السفر إلى جوجو... فأمره أبوه بالرجوع عن السفر... فرجع بعد أن تجهز وأبرز رحله.

رأينا أن روايات الوسياني والدرجيني المتعلقة بالرحلة الملغاة لأفلح بن عبد الوهاب تقريبا متماثلة. يمكن الإعتقاد هنا أن المؤلف الثاني استخدم الصيغة التي أوردها الوسياني وصحّحها بشكل ملموس. من جهة أخرى ليس من المستحيل أن الوسياني والدرجيني قد استخدما مصدر محلّي على الأرجح مجموع تراجمي قديم غير موجود حاليا.

جاءت كتابة اسم مدينة جوجو في رواية الدرجيني بصورة مماثلة لتلك الموجودة عند ابن بطوطة[37] ومن الممكن كتابتها جَوْجَو وتقرأ جَاوْجَاوْ أو ڤَاوْڤَاوْ هذا دون شك ڤاو الموجودة على نهر النيجر وهي عاصمة لدولة بهذا الاسم، وهو الأمر الذي طرحناه سابقا. في كتاب السير للوسياني كتب هذا الاسم جوجوا (جَوْجَوا)، يظهر أن الحرف الأخير لهذه الكتابة المتغيرة (ألف) ليس إلا ألف الإطلاق التي لا تنطق، ففي الكتابة العربية القديمة للكلمات الأجنبية الألف غير المنطوق يوضع في نهاية الكلمة حتى يتبين أن الحرف السابق "و" ينطق "أُو". الكثير من الأمثلة لكتابة مشابهة قدمها ت.كوفالتسكي، في طبعته لرواية إبراهيم بن يعقوب[38]. إنه من المهم أن نجد كذلك ألف نهائية في اسم ڤاو عند البكري:كوكوا[39]بالنسبة لـ:كَوْكَوْ، ڤاوڤاو – Kawkaw Gaogao.

يستخلص من روايات الوسياني والدرجيني أن أفلح بن عبد الوهاب قرّر القيام برحلة إلى ڤاو وأنه لم ينفذ هذا المشروع تبعا لأمر والده الإمام عبد الوهاب، وأنه كذلك صمّم مشروع هذه

البعثة في حياة والده. نعلم أن الإمام عبد الوهاب حكم مملكة تاهرت لمدة 40 سنة من 785/784م إلى 824/823 م، إذن هذا يعني قبل هذا التاريخ الأخير قرر أفلح الذهاب إلى ڤاو. هذا الإثبات له من الأهمية الكثير بحيث يسمح لنا بربط تاريخ ڤاو وعلاقات هذه المدينة (أو هذه المملكة) مع إفريقيا الشمالية ببداية ق 9م. دون شك فإن جذور مدينة ڤاو تسبق كثيرا القرن 9م وأن وقت كبير مضى بين هذه الفترة ومرحلة تأسيس هذه المدينة. كذلك أميل إلى الافتراض مع م.دولافوس و.ج.روش أنها تأسست في القرن 7م[40]. دون شك في بداية القرن التاسع الميلادي كانت ڤاو سوق هام يجذب التجار البربر والعرب من المغرب عبر الصحراء، وهذا دون شك بفضل ازدهار التجارة في بداية القرن 9م، حيث في هذه الفترة في تاهرت ظهر وسطاء ربطوا عاصمة الرستميين مع ڤاو. هذه المعلومةكان من الممكن أن تكون جدّ كافية لو أن ابن الإمام وريث العرش قام بالذهاب في رحلة نحو هذا المكان البعيد.

لا نعرف دوافع أفلح بن عبد الوهاب: فضول خالص لزيارة السودان أم هناك أسباب أكثر جدّية؟

ليس من المستحيل في بدايات ق9م أن تكون مدينة ڤاو عاصمة لمملكة مستقلة عن غانا ذات حدود لا تختلف كثيرا عن تلك التي نعرفها من خلال وصف السودان المقدم من طرف اليعقوبي نحو سنة 892/891م. حسب هذا المؤلف سلطة ملك ڤاو ستمتد على ثمانية ممالك أخرى استشهد اليعقوبي بأسمائها. من هذه الأسماء نجح ج. ماركار في التعريف بطريقة كافية على الأقل بثلاثة وهي الهازبن والتي هي نفسها آزبن (آير الحالية)[41]، ماراندا اسم لمدينة تقع شمال آزبن على الطريق التجاري القديم الرابط بين مدن غانا وڤاو إلى مصر طبقا لما قاله لنا الجغرافي العربي ابن الفقيه، كتب نحو 903م[42]. وفي النهاية مملكة صنهاجة البربرية "زناڤة" التي تشغل قسم من الصحراء الغربية[43] والتي كانت عاصمتها حسب كل الاحتمالات مدينة أودغست الواقعة شمال مدينة غانا في القسم الجنوبي من موريتانيا الحالية. وكذلك في النصف الثاني من ق 9م أصبح ملك ڤاو يراقب الطرق الصحراوية الرئيسية التي تربط السودان الغربي بالمغرب ومصر. إذن توجد وضعية سياسية مشابهة قبل سنة 824/823م وفي الوقت ذاته أين قرر أفلح بن عبد الوهاب فكرة الذهاب إلى ڤاو فدوافع مشروع مماثل سهلة التنفيذ. على الأرجح يتعلق الأمر بتنظيم العلاقات التجارية لتاهرت مع دولة ڤاو، وبالتأكيد على تحالف مقرر مع ملك هذه الدولة، سيّد قسم كبير جدا من السودان الغربي وكذلك الصحراء الجنوبية والغربية. تحالف مماثل لم يعمل إلا على مواصلة السياسة

الاقتصادية لأئمة تاهرت والتي ضمنت سلفا، تم بفضل زواج سياسي بين العائلة الرستمية وعائلة الأئمة الصفريين في سجلماسة بالجنوب الشرقي للمغرب الأقصى الحالي، تجارة حرة في جنوب غرب بلاد المغرب وفي المنطقة الشمالية للصحراء القريبة من المغرب[44].

يظهر من روايات الوسياني والدرجيني أن أفلح بن عبد الوهاب لم ينجح في تنفيذ مشروعه للدخول في علاقات مباشرة مع حاكم ڤاو (إذا كان موجود سلفا) في حياة والده. لكن يظهر لنا جليا أنه استمر في اهتمامه بڤاو طيلة حكمه الطويل (824/823م-872/871م) لهذه الدولة وهذا موجود في رواية لسفارة مرسلة من طرف أفلح بن عبد الوهاب إلى السودان، رواية وجدناها عند ابن الصغير.

هذه الرواية تتعلق بمحمد بن عرفة واحد من الأعيان الأكثر تأثيرا وغنىً في تاهرت والذي يحظى بشعبية كبيرة لدى سكان هذه المدينة، له أخت (أو ابنة) تزوجها الإمام الرستمي أبو بكر بن أفلح ابن وخليفة أفلح الذي حكم ابتداء من 872/871م[45]. اعتقد هذا الأمير أن السلطة التي يتمتع بها محمد بن عرفة لدى سكان تاهرت خطيرة على العائلة الرستمية فقام بقتله في السنة نفسها 872/871م. ولإظهار المزايا الحسنة لمحمد بن عرفة حكى ابن الصغير حكاية تتعلق به والتي حدثت في فترة حكم الإمام أفلح بن عبد الوهاب، هذا يعني بين 824/823م و872/871م، على الأرجح في نهاية هذه الفترة[46]: "...وكان بالبلد رجل يعرف بمحمد بن عرفة وكان وسيما جميلا جوادا سمحا، وكان قد وفد على ملك السودان بهدية من قبل أفلح بن عبد الوهاب فعجب ملك السودان ما رآه من هيبته وجماله وفروسيته إذا ركب الخيل فهز يديه وقال له كلمة بالسودانية ليست تعبر بالعربية لأن لا مخرج للامساك إنما هو فيما بين القاف والكاف والجيم إلا أن معناها "أنت حسن الوجه حسن الهيبة والأفعال...."(ابن الصغير، أخبار، ص62)

أسّس ابن الصغير، وباعترافه، روايته على علاقات مع (عدد من الإباضيين وآخرين) والذي روى هذه القصة بتفاصيلها للأسف لم يشر إلى اسم ملك السودان وكذلك اسم بلده وعاصمته. حسب كل الاحتمالات يتعلق الأمر بملك ڤاو، دولة ومدينة مثلما رأيناها سابقا اهتم بها أفلح بن عبد الوهاب منذ زمن وذلك منذ حياة والده قبل 824/823م. من الممكن وضع تعريف للكلمة أو التعجب "في لغة السودان" والمتضمن للحرف الوسيط بين الكاف والقاف والجيم هذا يعني ظهور "ڤ"، هل نأخذها هنا كلفظ من لغة السونغاي أو أن هذا التعجب جاء من لغة السونينكي، لغة سكان غانا أو لسان آخر للسودان الغربي.

نعرف جيدا موضوع طرق الاتصال التي تربط مدينة تاهرت بغانا وڤاو عبر الصحراء في فترة إزدهار تجارة عاصمة الدولة الرستمية مع السودان الغربي. يظهر أنه يوجد في هذه الفترة طريقين رئيسيين ربطا تاهرت بمدن غانا وڤاو. الأول يمر عبر سجلماسة وأودغست في حين أن مراحل الآخر وارجلان أو واركلان (اليوم ورڤلة) والمدينة التجارية تادمكة (تادمكت)، اليوم الآثار المسماة السوق الواقعة في جنوب الصحراء شمال شرق ڤاو. عرفنا هذين الطريقين خاصة بفضل معطيات اليعقوبي، ابن حوقل والبكري. نمر إلى الشهادات المتعلقة بجغرافيين آخرين، مؤرخين ورحالة عرب آخرين.

نبدأ بطريق: تاهرت-سجلماسة-أودغست-غانا. المؤلف العربي الأول الذي وصف هذا الطريق هو اليعقوبي في مؤلفه الجغرافي "كتاب البلدان"، كتبه نحو 892/891م كما أشرت إليه سابقا[47]. حسب هذا الكاتب مسافة عشرة أيام من السير تفصل مدينة تاهرت عن مدينة سجلماسة، المرحلة الوسطى هي مدينة أوزاكا على مسيرة ثلاثة أيام من تاهرت وسبعة أيام من سجلماسة. أشار كذلك إلى الطريق الرابط بين تاهرت وسجلماسة الكتاب الجغرافي للاصطخري "كتبه في 951م"[48] فيه مواضع اهتمت بتاهرت مؤرخة بفترة تسبق انهيار دولة الرستميين، على الأرجح في نهاية ق9م أو السنوات الأولى من القرن 10م. تبعا للاصطخري فالمسافة التي تفصل، عبر الصحراء، تاهرت عن سجلماسة كبيرة جدا عن تلك التي قدمها اليعقوبي، فهي تشير إلى 50 (في مخطوط آخر لهذا الكتاب إلى 25) مرحلة من السير[49]. هل يتعلق الأمر بخطأ بسيط أم أنه يجب افتراض وجود طريقين مختلفين يربطان عاصمة الرستميين بمدينة سجلماسة؟

تقع سجلماسة في بلد تافلالت على الضفة اليسارية لوادي زيز أين تستمر آثاره في الوجود إلى اليوم، وتمثل نقطة انطلاق لقسم كبير من القوافل التي تتجه عبر الصحراء الغربية إلى السودان الغربي (بلد الذهب) عند الجغرافيين العرب القدامى. ومن أجل هذا عاد الاصطخري في موضع من كتابه إلى زمن الرستميين وقال أن هذه المدينة "مجاورة لمناجم الذهب"[50]. البكري نفسه (كتب نحو 1068م) جعل موضع سجلماسة "في مدخل الصحراء" أين "يتم الانطلاق منها للذهاب إلى غانا ببلاد السودان"[51]. وكذلك تحدث اليعقوبي أقدم كاتب عربي وصف طريق تاهرت، سجلماسة، السودان الغربي، عن الدور الذي لعبته سجلماسة كنقطة انطلاق من المغرب نحو السودان[52]. كانت سجلماسة عاصمة لدولة بربرية حكمها في ق 8م إلى ق 10م، أمراء من المذهب الصفري وهو فرع من المذهب الخارجي كما يمثل الإباضيون فرع منه. خلال حوالي منتصف القرن 8م ربح

الصفريون أغلبية قبائل شمال إفريقيا البربرية المنشقة عن الخلافة العربية لكنهم ضعفوا بسبب الحروب الدموية التي خاضوها ضد العرب وكذلك ضد الإباضيين. وقد استمرت السيادة التي فرضوها على القبائل البربرية باستثناء قبيلة مكناسة البربرية المستوطنة بسجلماسة حوالي 758/757م أين أسس الصفريون دولة مستقلة، حسب الفزاري كانت هذه المملكة ضخمة واتسعت حدودها في نهاية ق 8م إلى 400 فرسخ على80 فرسخا (أو ميل عربي؟). حكم الرؤساء الصفريون إلى غاية ق 10م[53]، وعلى الرغم من الفروقات العقدية فإن العلاقات بين العائلة الإباضية في تاهرت والأمراء الصفريين في سجلماسة بقيت خلال عهد الأئمة الرستميين الأوائل حميمية جدّا. في الواقع لاحظ المؤرخون العرب تحالف عن طريق الزواج بين هاتين العائلتين في نهاية ق 8م أو في بداية ق 9م، يتمثل الأمر هنا في زواج مدرار بن شيخ الصفرية أبو منصور اليسع بأروى بنت عبد الرحمان بن رستم إمام تاهرت[54]. هذا دون شك بسبب الدور الكبير الذي تلعبه مدينة سجلماسة في تجارة شمال إفريقيا مع السودان الغربي والذي كان داعيا لهذا التقارب. كان هذا التحالف على الأرجح شهادة عن حكمة أئمة تاهرت الأوائل أسياد المدينة التجارية الكبيرة التي ينطلق منها التجار إلى أسواق السودان الغربي مضطرين في غالب الأحيان على المرور بسجلماسة.

بعد تجاوز الحدود الجنوبية لدولة سجلماسة تنطلق القوافل- من تاهرت ومدن أخرى قريبة- إلى السودان الغربي عبر مجال القبيلة البربرية البدوية المسماة أنبية (اسم غير محقق) وهي فرع من قبيلة صنهاجة (زناقة) وتشغل القسم الأكبر من الصحراء الغربية.من خلال اليعقوبي مسافة 50 يوما من السير تفصل مدينة سجلماسة عن أرض (أو من الممكن المركز السياسي؟) هذه القبيلة الغامضة أو بالأحرى فدرالية القبائل البربرية[55]. فدرالية أنبية موجودة سلفا في زمن الفزاري (كتب نحو 788م). هذا الكاتب وضع دولة كبيرة بهذا الاسم بين مملكة سجلماسة والسودان الغربي[56].

وجدنا بعض التفاصيل حول أنبية عند ابن الفقيه (كتب نحو 903م)، حسب هذا الجغرافي الذي تعود معلوماته حول إفريقيا الشمالية إلى منتصف القرن 9م، "بلد أنبية قسم من السوس الأقصى {في أقصى جنوب المغرب الأقصى الحالي} ويقع على مسافة سبعين ليلة من السير عبر السهول والصحراء"[57]، يتعلق الأمر إذن بفدرالية ضمت غالبية القبائل البربرية البدوية في الصحراء الغربية والموجودة في القرن 8م وإلى القرن 9م. من خلال ج.ماركار تدخل ضمن فدرالية أنبية قبائل مسوفة، لمتونة، وجدالة التي كانت تعيش في البدو بالصحراء الغربية[58].

بعد عبور بلد أنبية نصل حسب اليعقوبي إلى الناحية المسماة غسط وهي مملكة وثنية، فيها الملك يقوم برحلات في بلاد السودان، وسكان هذا الإقليم لهم مساكن ثابتة[59]. يتعلق هذا الأمر بالمدينة والمملكة البربرية المعروفة كثيرا عند المؤلفين العرب القدامى تحت اسم أودغست، وقد كانت مركز تجاري مهم تبعد مسيرة عشرة أيام من غانا. وجدنا هذه المعلومة عند الجغرافي والرحالة العربي ابن حوقل الذي مر عبر أودغست في 340هـ (952/951م) في رحلته من سجلماسة إلى غانا[60]. من خلال هذا الجغرافي نفسه مسيرة شهرين تفصل أودغست عن مدينة سجلماسة[61] وكذلك عشرة أيام بين أودغست والمركز السياسي لأنبية، إذن مسافة خمسين يوما بين سجلماسة وأنبية التي قدمها اليعقوبي صحيحة. تبعا للبكري تبعد أودغست عن مدينة غانا بمسيرة 15 يوما[62]، ومن خلال الإدريسي فمسيرة 12 يوما بين أودغست (التي أخذت عند هذا الجغرافي اسم أودغشت) وغانا[63]. وحسب موضع من كتاب العزيزي كتاب الجغرافي العربي المهلّبي (كتبه نحو ق 10م) المنقول في تقويم البلدان وهو كتاب جغرافي لأبي الفداء (ق 15م) فإن أودغشت اسم لمنطقة واسعة وكذلك عاصمة لهذا البلد وتقع على مسافة أكثر من أربعين يوما سيرا من سجلماسة عبر الرمال والصحاري. من خلال موضع آخر من هذا المصدر "تحتوي أودغست على أسواق جميلة... ويقصدها المسافرون من كل جهة، سكانها مسلمون. رئيس البلد رجل من قبيلة صنهاجة البربرية. وفي الشرق يمتد بلد الزنوج"[64]. في كتابه المسالك والممالك قدم البكري كذلك وصف مهم لمملكة ومدينة أودغست، حسب هذا الجغرافي استمرت دولة أودغست من 961 إلى 971م تحت حكم الملك المسمى تين ياروتان أصله من قبيلة صنهاجة، على الأرجح هو نفسه المذكور عند المهلبي حيث تمتد إمبراطوريته على "بلد آهل طوله وعرضه مسيرة شهرين"، ومن خلال الموضع نفسه من كتاب البكري "أكثر من عشرين ملك زنجي يعرفونه ويخضعون لسلطته"[65]. كانت مدينة أودغشت حسب البكري آهلة وكبيرة، وتضم سكان أغنياء وكثيرون يتكونون من العرب والبربر (منهم من نفوسة، لواتة، ونفزاوة، قبائل بربرية إباضية)، وهذا مثلما عرفناه بفضل مؤلفين آخرين، وفي سوق هذه المدينة (في كل ساعة ممتلئ بالناس) يقول جغرافينا يتم الدفع بتبر الذهب[66]. بنيت أودغست على سهل رملي في سفح جبل يفتقر إلى النباتات، المدينة محاطة بالحدائق وأشجار النخيل[67]. هذه المدينة التي اكتشف آثارها ب.لافورڤ سنة 1939 تقع في القسم الجنوبي من موريتانيا الحالية في شمال شرق كيفا في اتجاه تيشيت على هضبة ركيس. وهي الناحية التي بحث فيها م.دولافوس سابقا عن موضعها[68].

تبعا للبكري فالطريق التي تمر برأس الماء (قريب من موضع تومبكتو) وبمدينة تيركا (تيريكا) والتي نجهل موضعها بالضبط، تربط مدينة غانا بقبيلة سَغْمَارا البربرية التي تشغل المجال الواقع شمال مجرى النيجر الأوسط مقابل مدينة كَوْكَوْ يعني ڤاو.حسب البكري فقد ارتحل من ضواحي تومبكتو إلى ڤاو عبر نهر النيجر في سفينة[69]. هذه المعلومة أكدها ابن بطوطة الذي سلك هذا الطريق في القرن 14م[70]، ومن خلال تحفة الملوك لابن زنبال كتاب عربي من القرن 15م، والذي فيه استعمل المؤلف معطيات القرنين 12 و13م[71]، دون شك عبر هذا الطريق تتجه نحو مدينة ڤاو (في النص جوجو أو كوكو) القوافل المنطلقة من المغرب عبر سجلماسة، ومن الممكن أن يكون الطريق نفسه الذي أراد أن يسلكه في بداية القرن 9م الأمير الرستمي أفلح بن عبد الوهاب في مشروع رحلته إلى ڤاو، والذي يصرف تجار تاهرت الذين يمرون بهذه المدينة إلى السودان الغربي نحو 780م مثلما قلت سابقا[72]. نضيف أيضا وجود طريق تجاري يربط مدينة ڤاو بمدينة سجلماسة وتاهرت (المراحل: أودغست ومن المحتمل غانا) وهو مؤكد بموضع من كتاب ابن حوقل رحالة وجغرافي زار هذه البلدان في 951م. من خلال هذا الموضع كان ملك أودغست خلال هذه الفترة في علاقات مع ملوك غانا وڤاو (في النص كوغة، كَوْغَة، قوڤة عند ليون الإفريقي) وإليهما يدفع الضريبة[73]، هذه الوضعية للملك الصنهاجي لأودغست (الذي تتبع دون شك سياسة أسلافه مثلما يستخلص من رواية اليعقوبي في موضوع العلاقات بين صنهاجة وملك ڤاو) كانت مرتبطة بصفة ضيقة مع السياسة الاقتصادية لملوك أودغست الذين اهتموا بتطوير التجارة بين ڤاو وسجلماسة وبين غانا وسجلماسة والتي فيها لعبت عاصمتهم دور هام جدا.

بجانب هذا الطريق هناك طريق آخر يعبر في الفترة الرستمية الصحراء شرق طريق تاهرت- سجلماسة- أنبية- أودغست- غانا، مراحل هذا الطريق هي: واحة ورڤلة في شمال الصحراء والمدينة التجارية تادمكت (اليوم آثار السوق) في جنوب هذه الصحراء شمال شرق ڤاو. هذا الطريق الذي نعرف روابطه بفضل الجغرافيين العرب من ق 9م إلى ق 12م الذين مروا عبر مدن تنس، مليانة، المسيلة، وكذلك عبر إقليم الزاب عبر واحة طبنة وبسكرة[74] متجهين نحو واحة واركلان أو وارجلان (ورڤلة) والذي كان مكان آهل بعدة مجموعات بربرية إباضية ومركز تجاري هام له دور كنقطة إنطلاق للقوافل المتجهة من شمال إفريقيا نحو السودان الغربي، ويمكن مقارنته مع مركز سجلماسة على الطريق التجاري تاهرت- غانة. من خلال الإدريسي (1154م) نجد مسيرة 12 مرحلة من المسيلة إلى ورڤلة[76]، وتمر هذه الطريق على الأرجح عبر واحات وادي ريغ (أريغ

في المصادر الإباضية) التي فيها إقبال كبير على التجارة مع السودان وتمارس عبر هذا الطريق. لاحظ ما قاله الإدريسي حول دور ورقلة في تجارة شمال إفريقيا مع السودان: "وهي مدينة فيها قبائل مياسير وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى بلاد غانة وبلاد ونقارة فيخرجون منها التبر ويضربونه في بلادهم باسم بلدهم وهم وهبية إباضية..."[77].

ليس هناك أي شك في كون العلاقات التجارية لورقلة مع السودان الغربي موجودة قبل ق9م خلال زمن الأئمة الرستميين في تاهرت أين امتدت سلطتهم على إباضيي ورقلة. نجهل تقريبا كل العلاقات المبنية من طرف سكان هذه الواحة مع مدينة تاهرت تحت حكم الرستميين، وهنا أي قبل سنة 785/784م نلحظ وجود عالم إباضي يسمى أبو يعقوب يوسف السدراتي الأطرافي الوارجلاني أصله من تين إمصيوين، موضع يقع في واحة ورقلة، درس في تاهرت عند الإمام عبد الرحمان بن رستم[78]، وبعد سقوط مملكة تاهرت التي احتلتها الجيوش الفاطمية في سنة 909م، تحصّن بورقلة يعقوب بن أفلح آخر إمام إباضي. أنظر ما قاله في هذا الموضوع المؤرخ الإباضي أبو زكرياء يحي بن أبي بكر الوارجلاني في كتابه السيرة وأخبار الأئمة (بداية ق 11م): (وحدث غير واحد من أصحابنا أن الحجاني (أبو عبد الله الشيعي)[79]، لما سار إلى تاهرت خرج يعقوب بن أفلح في خيل من أصحابه.... فتبعهم عساكر العدو. فمضى يعقوب وأصحابه إلى وارجلان... وذلك على عهد أبي صالح بن جنون بن يمريان، فتلقاهم أبو صالح في جموع من أهل وارجلان فأدخلوه وأكرموه وأحسنوا القيام به. فطلبوه أن يولوه على أنفسهم فامتنع من ذلك...ومكث فيهم دهرا طويلا...)[80].

دون شك تم خلال حكم الأئمة الرستميين تأسيس مدينة سدراتة في واحة ورقلة (اليوم آثار سدراتة) وكذلك سميت بهذا الاسم نسبة إلى قبيلة بربرية تحمل الاسم ذاته[81]. وقد جاء ازدهارها دون شك من التجارة بين تاهرت وڤاو. نضيف كذلك أن وارجلان كانت في هذه الفترة مرحلة على الطريق الذي يربط مدينة توزور (في الجنوب التونسي) مع مدينة سجلماسة وعبر هذه الواحة اتجه نحو سجلماسة عبيد الله مؤسس عائلة الفاطميين بعد وصوله إلى المغرب نحو نهاية القرن 9م[82].

يتجه تجار تاهرت الراغبين في السفر من ورقلة إلى السودان نحو مدينة تادمكت الواقعة في المنطقة الجبلية لأدرار إيفوراس[83] على الحافة الجنوبية للصحراء (اليوم الآثار الواسعة للسوق)، وتبعد هذه المدينة عن ورقلة بمسيرة خمسين يوما في الصحراء. وجدنا هذه المعلومة عند البكري

(نحو 1068م)[84] الذي أعطانا كذلك وصف مهم لتادمكت ونسمح هنا لأنفسنا بالاستشهاد به: "إنها مدينة كبيرة محاطة بالجبال والوديان وأحسن بناءً من غانة وكَوْكَوْ، سكانها بربر مسلمون يشبهون كثيرا بربر الصحراء حيث يتغذون على اللحم واللبن ونوع من الحبوب تنتجه الأرض دون زراعته، الذرة ومحاصيل نباتية أخرى تأتيهم من بلاد السودان، لباسهم من القطن أو مواد نسيجية أخرى، مصبوغة بالأحمر. يلبس الملك شاشية حمراء، قميص أصفر وسروال أزرق، الدنانير الرائجة عندهم من الذهب الخالص وتسمى- الصلعاء- لأنها غير مختومة".[85].

ابن حوقل نفسه الذي زار الصحراء نحو منتصف ق10م حدثنا عن ملوك تادمكت، قال إن سكان هذه المدينة "من أصول زنجية...ثم أصبحت بشرتهم بيضاء بسبب قربهم من الشمال وبعدهم عن أرض كوكو(ڤاو)"[86]. ويعلم ابن حوقل كذلك أن سكان تادمكت بنوا علاقات مع إفريقيا الشمالية من جهة ومع مدينة ڤاو من جهة أخرى.

نعلم بفضل ابن حماد مؤرخ عربي ق13م أن تادمكت موجودة سلفا نحو نهاية ق9م والتي تمثل في هذه الفترة مركز تجاري ضخم على الطريق المؤدي من إفريقيا الشمالية إلى ڤاو، هنا ومن أب تاجر أصله من تقيوس (غير بعيد عن الجنوب التونسي) كان يذهب ويعود إلى السودان من هذه المدينة ومن آمة أصلها من تادمكت، ولد الشيخ الإباضي المستقبلي أبو يزيد مخلد بن كيداد الذي أقام تبعا لذلك اتصالات عن طريق والده بمدينة كوكو[87]، دون شك أن هذه الاتصالات ربطت جنوب تونس مع تادمكت وڤاو عبر ورڤلة خلال القرن 9م.

حسب البكري مسيرة تسعة أيام تفصل بين مدينة تادمكت وكوكو[88]، وجدنا أقدم وصف لهذه المدينة عند الجغرافي العربي المهلبي (ق10م)، في موضع من كتابه استشهد به ياقوت الحموي (بداية ق13م) في معجمه الجغرافي. من خلال هذا الوصف عاصمة مملكة ڤاو (في النص كوكو) تتكون من مدينتين منفصلتين الأولى تقع على الضفة الشرقية للنيجر (في النص النيل) والمسماة "سارنات" وتمثل مركز تجاري هام يزوره التجار الذين يأتون من كل البلدان حيث تتوفر الأسواق، بينما تقع الثانية في الجهة الغربية للنيجر وتمثل إقامة للملك، وبين هاتين المدينتين يوجد المسجد. الملك وقسم من سكان هاتين المدينتين يدينون بالإسلام، من المهم هنا أن نشير أن الملح الذي يمثل على وجه الخصوص قوة الملك يحفظ في الخزائن[89].

حسب البكري الذي وصف لنا كذلك مدينة ڤاو يقول: إن قضبان الملح تستخدم مثل العملة، ويستخرج هذا الملح من مناجم طَوْطَاك (طوطاك أو ممكن تيطوك) على مسيرة 15 يوما من هذه

المدينة، هذه الحمولات تمر عبر مدينة تادمكت وفيها أهمية تجارية كبيرة لقاو خلال القرن 11م. وبهذا يكون البكري قد أعاد المعلومة التي عرفناها سابقا من خلال كتاب المهلبي حول المدينتين اللتين شكلتا عاصمة قاو[90].

مثلها فالمصادر العربية وخاصة الإباضية، تحدثنا حول العلاقات بين مدينة تاهرت ودول غانا وقاو في نهاية القرن 8م وإلى القرن 9م من زمن حكم الرستميين. هذه المعلومات على تفصيلاتها القليلة تمكّننا من الرجوع على الأقل بقرن إلى أصول العلاقات التجارية بين إفريقيا الشمالية والسودان في الفترة الرستمية، علاقات بدأ معها التاريخ حسب رأي عالم مثل ماركار وبوفيل فقط في القرن 9م. يظهر من هذه المعطيات أن حضور التجار المسلمين معروف في المصادر العربية خاصة أولئك القادمين من تاهرت والمخصّصة غالبا أو على الأقل للإباضية، ولم يكن التجار المسلمين الأوائل الذين وصلوا إلى السودان الغربي منذ فتح العرب للمغرب. في الواقع يمكن أن نقول أن تجار تاهرت الذين وصلوا إلى السودان الغربي في 780م سُبقوا إلى أسواق غانا، قاو ومدن أخرى من هذا البلد من طرف تجار مسلمين جاؤوا من مدينة سجلماسة الصفرية ومن مدن زيز ودرعة (مجاورة لسجلماسة والتي اضمحلت قبل التطور التجاري لهذه الأخيرة[91]، أو عن طريق التجار البربر الذين أصلهم من طاركالا عاصمة السوس الأقصى (في جنوب المغرب الأقصى) مرتبطة حسب ابن الفقيه (903م) بمدينة غانا عبر طريق على مسيرة ثلاثة أشهر[92]. لكن دراسة هذا المشكل تتعدى هذا الإطار ولا تنحصر في هذا المقال.

الهوامش:

1- حول هذا المذهب ينظر المقال وينظر كذلك التراث الأدبي المستشهد به:

« al-Ibadiya », Handworterbuch des islam (ed. A.J.Wensinck et J.H.Kramers, Leyde, 1941, pp.179-181).

2-حول هذا المؤلف وكتابه ينظر:

A.de C. Motylinski, « bibliographie du Mzab. Les livres de la secte abadhite », Bulletin de correspondance africaine, t3, alger, 1885, pp.47-70 ; T. lewicki, « une chronique ibadite. « kitab as-siyar » d'abu 'l-'Abbas ahmad aš-Šamahi », Revue des études islamiques, 1934, cahier1, Paris, 1934, pp.59-78.

3- T. Lewicki, « la répartitions géographique des groupements ibadites », Rocznik Orientalistyczny, t.XXI, warszawa, 1957, pp.307-311.

4-« Chronique d'Ibn Saghir sur les imams rostémides de Tahert » éd. et. Trad. de, A. de,C. Motylinski, Actes de XIV congrés International des orientalistes, Paris, 1908, pp.3-132.(=A. de C. Motylinski, chronique d'Ibn Saghir).

حول ابن الصغير ينظر كذلك:

T.Lewicki, « les historiens, biograpges et traditionistes ibadites-wahbites de l'afrique du nord du VIII[e] au XVI siécle», Folia Orientalia, tIII, (=Lewicki, Les historiens ibadites).

5-A. de,C. Motylinski, chronique d'Ibn Saghir, pp.12-13 et p68 (trad).

6- حسب ابن خرداذبة جغرافي عربي كتب حوالي منتصف ق9م، تبعد تاهرت بحوالي مسيرة شهر على ظهور الجمال عن مدينة القيروان عاصمة إفريقية، ينظر:

kitab al-masalik wa 'l-mamalik auctore abu 'l-kasim Obaidallah ibn Abdallah ibn khordadhbeh, éd. M. J. de Goeje, Leyde, 1889, (=Bibliotheca Geographorum Arabicorum, t.VI), texte arabe p.88 et traduction p.63.

عبر هذا الطريق يتجه التجار العرب من البصرة والكوفة نحو تاهرت. يتعلق الأمر خصوصا وحسب رأيي بالتجار الإباضيين، في الواقع نعلم أن العنصر الإباضي كثير وجدّ نشط في هاتين المدينتين خلال القرن 8م. ينظر في هذا الصدد المقال:

« al-Ibadiya », Handworterbuch des islam (ed. A.J.Wensinck et J.H.Kramers,p.179.

7- E. W. Bovill, The Golden Trade of the Moors, London, 1958; Die Benin Sammlung des riechsmuseums für Völkerkunde in leiden, beschriebenen und mit ausführlichen Prolegomena zur Geschichte der handelswege und Völkerbewegung in nordafrika, versehen von jos. Marquart, Leyde, 1913, (=Marquart, Die Benin-Sammlung), p.CXXVII et passim.

8- Maçoudi, Les prairies d'or. Texte et traduction par C. Barbier de Meynard, t.IV, Paris, 1885 (= al-Mas'udi, Prairies d'or), pp.37-40. Selon C. Brocklmann (Geschichte der arabischen Literatur, Weimar-Berlin, 1898-1902 (=Brmcklmann GAL), t.I, p.220 et supplém, leyde, 1937-1942 (=Brocklmann, Suppl.), t.I, p.391),

أبو إسحاق إبراهيم بن حبيب الفزاري ترجم على الأرجح في سنة 773م مؤلف هندي معنون بـــــــــــــ "سند هند" خلال حكم الخليفة العباسي المنصور (ت 775م). نجهل إذا كانت القطعة التي استشهد بها المسعودي جاءت من هذه الترجمة أو على الأرجح من مؤلف جغرافي آخر للفزاري. هذا المؤلف الافتراضي تم تأليفه في عهد إدريس الأول مؤسس السلالة الإدريسية بالمغرب الأقصى (788–793م) والذي لقب في القطعة الموجودة عند المسعودي (ص39) (ملك الدولة الإدريسية). شخصية أخرى ذكرت في الوثيقة لا ندري هل هو عبد الرحمان بن معاوية، حسب الفزاري إليه تنسب مملكة إسبانيا، أم الأمير الأموي عبد الرحمان الأول الذي حكم إسبانيا من 756م إلى 788م. من خلال ما سبق نستنتج أن معلومات الفزاري حول الوضعية السياسية للغرب الإسلامي الوسيط مؤرخة بسنة 788م. كذلك ودون شك هذه السنة كانت بعد أن ألّف الفزاري الكتاب الذي استشهد المسعودي بقطعة منه تقع محل اهتمامنا.

9- Marquart, Die Benin-Sammlung, p. CXXXVIII.أراضي مملكة ولوف

10-Al-Mas'udi, Les Prairies d'or, t. IV, p. 39.

11- G. Nachtigal, sahara und sudan, t.II, Berlin, 1881, pp.426 et 495.

مدينة نجالة التي تقع غير بعيدة عن الضفة الجنوبية لبحيرة تشاد شكلت في فترة معينة حصن قديم، ومركز سياسي للقبيلة السودانية صو (صاو). بعد ذلك تم احتلالها من قبل المكاريين (كوتوكو). في متحف مهم يوجد بنجالة والذي يعود لفترة المكاريين رأى Nachtigal أضرحة خمسة وثلاثين ملكا مكاريا ينتمون إلى هذه القبيلة.

12- Al-Mas'udi, Les Prairies d'or, op.cit.

13- R.Mauny, «État actuel de la question de Ghana», Bulltin de l'Institut Français de l'Afrique noire (=BIFAN), t.XIII, 1951, pp.463-475 ; P. Thomas-sey et R. Mauny, compagne de fouilles a Koumbi saleh, BIFAN, t.XIII, 1951, pp.117-140.

14- Ibn Wddhih qui dicitur al-Ja'qiTbi, Historiae. Pars prior. Ed. M. Th. Hout-sma, Leyde, I883 (= al-Ya'qiibi, Ta'rah), pp. v-vii; Kitab al-Bolddn auctore Ahmed ibn abi Jakuhb ibn Wadhih al-Kadtib al-Jakuhbi, ed. M. J. de Goeje, Biblio-theca Geographorum Arabicorum, t. VII, 2e ed., Leyde, i892 (= al-Ya'qfbl, Kitab al-Buldan), pp. vII-viII; Brockelmann, GAL, t. I, pp. 226-227 et Suppl., t. I, p. 405.

15- Al-Ya'q-abi, Ta'rih, p. 220; Marquart, Die Benin-Sammlung, pp. LXXVII-LXXVIII.

16- Al-Ya'q-abi, op. cit. ; Marquart, op. cit.

17- Das Kitatb Siurat al-ard des A bil Ca'/ar Muhammad ibn MasJ al-Huwa-rizmi. Hrsg. nach dem handschriftlichen Unikum... von Hans von Mzik, Leipzig, 1926, p. 6.

18- ينظر في هذا الصدد:

Drevnie i srednevehovye istocniki po etno-grafii i istorii narodov Afriki yuzhnee Sakhary. Arabskie istocniki VII-Xvekov. Podgotovka tekstov i perevody L. E. Kubbela i. V. V. Matveeva (Sources anciennes et medievales pour l'ethnographie et l'histoire des peuples de l'Afrique au sud du Sahara. Sources arabes du VIIe-Xe siecles. Edition et traduction de L. E. Kubbel et V. V. Matveev), Moscou-Leningrad, i960 (= Kubbel et Matveev, Sources arabes), pp. 366-367 et 368-369.

19- Al-Ya'qubi, Ta'rih, p. 200; Marquart, Die Benin-Sammlng, pp. LXXVII-LXXVIII.

20- Marquart, op. cit., p. CVII-CXXII.

21- Description de l'Afrique septentrionale par A bou-Obeid-el-Bekri. Texte arabe... publie par... de Slane, 2e ed., Alger, 1911, (= al-Bakri, Description, texte), p.183; Description de l'Afrique septentrionale par el-Bekri traduite par MacGuckin de Slane, edition revue et corrigee, Alger, 19I3 (= al-Bakri, Descrip-tion, traduction), pp. 342-343. Sur al-Bakri, cf. Brockelmann, GAL, t. I, pp. 476- 477 et Suppl., t. I, pp. 875-876.

22- Description de l'Afrique et de l'Éspagne par Edrisi, texte arabe publié... avec une traduction, des notes et un glossaire par R. Dozy et M. J. de Goeje, Leyde, 1866 (= al-Idrisi, Description), texte arabe, pp. 11-12 et trad., pp. 13-14. Sur al-Idrisi voir Brockelmann, GAL, t. I, p. 477 et Suppl., t. 1, pp. 876-877.
23- Voyages d'Ibn Batoutah, texte arabe, accompagne d'une traduction par C. Defrémery et B. R. Sanguinetti (= Ibn Battuta), t. IV, pp. 435-436. Sur Ibn Battuata, voir Brockelmann, GAL, t. II, pp. 256-257 et Suppl., t. II, pp. 365-366. Ibn Battuita a visite la ville de Gao en 1353.
24- Ibn Battuta, t. IV, pp. 426 et 435.
25- Ibid., p. 122.

26- كتب الإدريسي كذلك اسم المدينة الألمانية Augsburg أوزبورك :

(T. Lewicki, La Pologne et les pays voisins dans le « Livre de Roger »de al-Idrisi, geographe arabe du XIIe siecle, t. I, Krakov, 1945, p. 116) et celle de la ville polonaise Gniezno ğinazna (ibid., p. 113).

27- على سبيل المثال نجد عند الإدريسي اسم المدينة الإيطالية Poli-castro كتبها بولي كاشترو.

(Lewicki, op. cit., t. I, pp. 117-118).

28- حول هذا الكاتب ينظر: Brockelmann, Suppl., t. 11, p. 710.
29- Description de l'Aftique tierce partie du monde escrite par Jean Leon African, nouvelle edition annotee par Ch. Schefer, t. III, Paris, I898, pp. 298 et 301
30- Marquart, Die Benin-Sammlung, pp. LXXVI-LXXVIII et passim (cf. aussi index s. v. Gogo); H. Barth, Reisen und Entdeckungen in Nord- und Central- Afrika, Gotha, I857-I858, t. IV, pp. 6oi, 605, 607 et t. V, pp. 216, 236.
31- Tbn Khaldoun, Histoire des Berbe'res et des dynasties musulmanes de l'Afrique septentrionale, traduite de l'arabe par 1I baron de Slane. Nouvelle edition publiee sous la direction de Paul Casanova, Paris, 1925-1956 (= Ibn Haldun, Histoire), t. III, pp. 301 et passim.
32- Lewicki, Les historiens ibadites (sous presse); La répartition géographique des groupements ibadites, pp. 304-305.

33- حول الدرجيني وكتابه ينظر:

T. Lewicki, « Notice sur la chronique ibadite d'ad-Dargini» , Rocznik Orientalistyczny, t. XI, pp. 146- 172. Cf. aussi Lewicki, Les historiens ibddites (sous presse).
34- Lewicki, Notice sur la chronique ibadite d'ad-Dargini (passim).

35- الوسياني، كتاب السير، مخ رقم 277 من المجموعة القديمة Lwow، ص: 59.

36- الدرجيني، كتاب طبقات المشائخ، مخطوط رقم 275 من المجموعة القديمة Lwow، V 92 f

37- ينظر الصفحة 6.

38- Relatio Ibrahim ibn Ja'kub de itinere slavice, quae traditur apud al- Bekri. Edidit, commentario et versione polonica atque latina instruxit T. Kowal-ski, Krakow, 1946, pp. 72-73.
39- Al-Bakri, Description, texte, pp. 181 et 183.
40- M. Delafosse, Haut-Senegal-Niger (Soudan Franfais), Paris, 1912, t. II, pp. 67, 71, 72 et 240-241; J. Rouch, Les Songhay, Paris, I954, pp. 8-9.
41- Marquart, Die Benin-Sammlung, p.CXVI; Y. Urvoy, Histoire des populations du Soudan Central (Colonie du Niger), Paris, 1936, pp. 137-153.
42- Marquart, op. cit., pp. CIX- CXVI; Kubbel et Matveev, Sources arabes, p. 372.
43- Marquart, op. cit., pp. CXVI -CXVII.

44- حول هذا الموضوع ينظر الصفحة 6.

45- A. de C. Motylinski, Chronique d'Ibn Saghir, pp. 31-35 (texte arabe) et pp. 91-97 (traduction).
46- Ibid., p. 31 (texte arabe), et pp. 91-92 (traduction).
47- Al-Ya'qubi, Kitab al-Buldan, pp. 359-360.

48- حول هذا الكتاب ينظر:

Brockelmann, GAL, t. I, p. 229 et Suppl., t. I, P. 408.
49- Viae regnorum. Descriptio ditionis moslemicae auctore Abu Ishak al- Edrisi al-Istakhri, ed. M. J. de Goeje (Bibliotheca Geographorum Arabicorum, t. I), 2e éd., Leyde, 1927, pp. 39 et 46.
50- Ibid., p. 39.
51-Al-Bakri, Description, texte, pp. 148-149 et trad., pp. 283-284.
52- Al-Ya'qubi, Kitab al-Buldln, p. 360.

53- حول سجلماسة ينظر:

H. Fournel, Les Berberes, t. 11, Paris, 1881, pp. 22-25 et G. S. Colin, article « Sidjilmasa », Enzyklopddie des Islam, t. IV, pp. 432-434.
54- Al-Bakri, Description, texte, p. I50 et traduction, pp. 286-287; lbn Haldun, Histoire, t. I, pp. 262-263; Fournel, op. cit., t. 11, p. 24.

55- Al-Ya'qubi, Kitab al-Buldan, p. 360.
56- Al-Mas'udi, Prairies d'or, t. IV, p. 39.
57- Ibn al-Faqih, Kitab al-Bulddn, ed. M. J. de Goeje, Leyde, 1885 (= Bibliotheca Geographorum Arabicorum, t. V), p. 81.
58- Marquart, Die Benin-Sammlung, pp. CCXXXIV-CCXXXV.
59- Al-Ya'qubi, Kitab al-Buldan, p. 360.
6o- Opus geographicum auctore Ibn Haukal..., ed. J. H. Kramers, Leyde, 1958 (= Ibn Hawqal, Kitab Surat al-ard), t. I, p. 99. Sur Ibn Hawqal voir Brockelmann, GAL, t. I, p. 229 et Suppl., t. I p. 408.
61- Ibn Hawqal, Kitab Sirat al-ard, t. I, p. 93.
62- Al-Bakri, Description, texte, p. 168 et trad., p. 317.
63- Al-Idrisi, Description, texte arabe, p. 32 et trad., p. 38.
64- هذه القطعة من كتاب المهلبي موجودة في تقويم البلدان لأبي الفداء (ق16م):

Cf. Geographie d'A boulfdda, texte arabe publi... par M. Reinaud et ... de Slane, Paris, 1840, p. 125 ; Geographie d'A boul-feda traduite de l'arabe en francais... par M. Reinaud, t. II, 1re partie, Paris, 1848, pp. 174-175. Sur al-Muhallabi voir I. Ju. Krackovskij, Izbrannye socine-nija. T. IV: Arabskaja geograficeshaja literatura (CEuvres completes, t. IV: La litterature geographique arabe), Moscou-Leningrad, 1957, pp. 234-236, et sur Abu 'I-Fida' voir Brockelmann, GAL, t. 11, pp. 44-46 et Suppl., t. II, p. 44.
65- Al-Bakri, Description, texte, p. 159 et trad., pp. 301-302.
66- Ibid., texte, p. 158 et trad., p. 300.
67- Ibid., op. cit.
68- Delafosse, Haut-Sénégal-Niger, t. II, pp. 29-32; voir aussi P. Laforgue, "Notes sur Aoudaghos", ancienne capitale des Berberes Lemtouna #, BIFAN, t. II, I940, pp. 217-236.
69- Al-Bakri, Description, texte, pp. 18o-181 et trad., pp. 337-338.
70- Ibn Battuta, t. IV, p. 426.
71- E. Fagnan, Extraits inedits relatifs au Mahgreb, Alger, 1924, p. 178. Sur Ibn Zanbal, voir ibid., p. 121.
72- Voir ci-dessus, p. 523.
73- الطريق التي تربط تاهرت بإقليم الزاب في زمن الرستميين تمر عبر بلدان مأهولة في الأغلب بقبائل بربرية إباضية"عند اليعقوبي بدلا من الإباضية نقرأ الشراة وهو اسم آخر لهذا المذهب"، دون شك ترتبط نوعا ما بمملكة تاهرت وقد عرفت على الأقل أجزاء منها السلطة الأغلبية، أمراء مملكة البربر الشرقية، في هذا الصدد ينظر:

al-Ya'qabi, Kitab al-Buldan, pp. 352-353.

عرفنا هذا الطريق بفضل وصف ابن حوقل الذي يبدو أنه زار البلد في منتصف القرن 10م، نصف قرن فقط بعد سقوط مملكة تاهرت الرستمية

(Ibn IHawqal, Kitab Siirat al-ard, t. 1, pp. 88-89).
75- Al-fdrisi, Description, texte arabe, p. 120 et trad., p. 141.
76- حول أهمية وادي ريغ يسمى أحيانا من قبل المؤلفين العرب القدامى "بلد ريغة" من اسم قبيلة زناتية تحمل هذا الاسم ينظر:

Ibn Haldun, Histoire, t. III, p. 275.

سكان هذا البلد البربر دخلوا قديما في الإباضية كما هو مستنتج من بعض الإشارات الواردة عند المؤلفين الإباضيين القدامى. طريق القافلة الذي يربط بين بسكرة والصحراء الوسطى والذي يجتاز توقرت، المركز الحالي لوادي ريغ، موجود سلفا في الفترة الرومانية غير أنه خلال هذه الفترة يبدو أقل تواصلا مع طرق غدامس وفزان. على الأرجح عبر هذا الطريق تم نقل من الهقار الغربي خلال القرن الرابع الميلادي الآثار الرومانية المكتشفة في الموقع المشهور تين هنان قرب أبالسة. حول هذه المسألة ينظر:

E. Demon-geot, "Le chameau et l'Afrique du Nord romaine ", Annales, 15e annee, n 2, mars-avril 1960, p. 240 et carte du Sahara oriental (entre pp. 232 et 233).

ليس من المستحيل أن تكون جذور ورقلة (عند المؤلفين العرب القدامى واركلان أو وارجلان) مركز تجاري رئيسي يقع على طريق بسكرة-توقرت- الصحاري الشرقية، مرتبطة بازدهار التجارة الرومانية والبيزنطية في هذه النواحي. نتساءل إذا كان الشعب الإفريقي Urcilliani الذين ذكرهم كملاّك جمال ويستعملون هذه الحيوانات في حروبهم وأنهم لا يشبهون الواركلانيين:

Vegece, Epit. Rei Militaris, III, 23
77- Al-Idrisi, Description, texte arabe, p. 121 et trad., p. 141.
78- الوسياني، كتاب السير، مخ رقم 277 من المجموعة القديمة Lwow، ص: 140.
79- أبو عبد الله الشيعي مبعوث وقائد فاطمي احتل تاهرت في 909م.(Fournel, Les Berberes, t. 11, p. 90)

اثنية الحجاني(الحجاني؟) وظفها أبو زكرياء للإشارة إلى هذا المبعوث والذي اشتق على الأرجح من اسم جبل أنكجان أو إكيجان (شمال غرب جميلة في نواحي سطيف) والذي مثل موطنه الأول خلال الفترة الأولى من نشاطه بالمغرب حول موضع وتسمية الجبل ينظر:

Fournel, op. cit., t. 11, p. 53

80- نشر تاريخ أبو زكرياء لأول مرة مترجم ومعلق عليه من قبل E. Masqueray, Alger, 1878, pp. 251-257. ينظر كذلك: Ibid., p. 211.

نستشهد بهذه الرواية من خلال هذه الترجمة (في الواقع رديئة جدا) حيث نصحح فقط كتابة أسماء الأعلام ذات الأصل العربي.

81- بخلاف G. Marçais الذي خصص لسدراتة بعض الصفحات في كتابه:

Manuel d'art musullman (t. 1, Paris, 1926, pp. 81-91)

أعتقد أن هذه المدينة موجودة سلفا في القرن 9م وليس فقط في القرن 10م، مثلما يراه هذا العالم. في الواقع الجند البربري المنتمي لقبيلة سدراتة والذي شارك في الحملة العسكرية المنظمة من قبل الفاطمي عبيد الله (909-934)في بداية حكمه ضد واحة ورقلة، كانوا إخوة سكان عاصمة ورقلة والذين ينتمون كذلك لهذه القبيلة. هذا ينتج من حكاية رواها أبو زكرياء الوارجلاني ينظر:

(Chronique d'Abou Zakaria, trad. Masqueray, pp. 221-223).

82- Chronique d'Abou Zakaria, trad. E. Masqueray, pp. 209-210.

83- حول تادمكت (تادمكة) ينظر:

Barth, Reisen und Entdeckungen in Nord- und Central-Afrika, t. V, pp. 459 et passim; Richer, Oullemiden, p. 47; Delafosse, Haut-Senegal-Niger, t. II, p. 69.

84- Al-Bakri, Description, texte, p. 182 et traduction, p. 340.

85- Ibid., texte, p. 181 et trad., p. 339.

86- Ibn Hawqal, Kitab Surat al-ard, t. I, p. 105.

87- Histoire des rois 'obaidides (les califes fatimides), par Ibn Hammad, éd. et trad. M. Vonderheyden, Alger-Paris, 1927, texte arabe, p. 18 et trad. pp. 33-34.

88- Al-Bakri, Description, texte, p. 183 et trad., p. 342.

89- Jacut's geographisches Wörterbuch... hrsg. von F. Wüstenfeld, Leipzig, 1866-1870, t. IV, pp. 329-330.

90-. Al-Bakri, Description, texte, p. 183 et trad., pp. 342-343.

91- Marquart, Die Benin-Sammlung, p. CXXIII-CXXIV et passim.

92- Ibn al-Faqih, Kitab al-Buldan, ed. M. J. de Goeje, pp. 81, 84 et 87; Marquart, op. cit., p. CXXIV.

ABSTRACT: *In these papers, the researcher try to study the comercial relations between Tahart and sudan kingdoms especially Ghana and Gao, depending his informations from arabic and ibadites sources. Since he event back to the starting points of these relations and he shows the political role that effect these relations..*